الزمان بين تعدّد المفاهيم وتنوّع الدلالات

زوليخة شعبان صاري

جامعة تلمسان

chabanesari13@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021-11-14 **تاريخ القبول**: 2022-06-06 **تاريخ النشر**: 2022-06-15

ملخص:

يشكل عنصر الزمان صميم الحياة البشرية يشعر الإنسان بأهميته في وجوده ،إذ يجعله يميز بين الظواهر الطبيعية كتعاقب الليل والنهار واختلاف الفصول ومراحل العيش بمختلف أطوارها وغير ذلك . وهذا ما جعل عنصر الزمان موضوعا خصبا للدراسة بتعدد المفاهيم والتصورات ،فهناك من أخده من الجانب الفلسفي وآخر درسه من الجانب الفزيائي ،و بعضهم من الجانب الاجتماعي .

ونحاول في هذا البحث أن نحدد المفاهيم المتعددة للزمن باختلاف دلالاتها.

الكلمات المفتاحية: الزمان؛ الفلسفة؛ المصطلح ؛الفزياء ،الدلالة.

Abstract :

The element of time constitutes the core of human life. Man feels its importance in his existence, as he makes him distinguish between natural phenomena such as the succession of night and day, the different seasons, the stages of life in its various stages, and so on. This is what made the element of time a fertile subject for study with the multiplicity of concepts and perceptions.

In this research, we try to define the multiple concepts of time with different connotations.

Keywords : Time; Philosophy ; Terminology; Physics ; Semantics.

شعبان صاري زوليخة: **chabanesari13@gmail.com**

الزمان بين تعدّد المفاهيم وتنوّع الدلالات

مقدمة:

يشكل عنصر الزمان صميم الحياة البشرية يشعر الإنسان بأهميته في وجوده ،إذ يجعله يميز بين الظواهر الطبيعية كتعاقب الليل والنهار واختلاف الفصول ومراحل العيش بمختلف أطوارها وغير ذلك . وهذا ما جعل عنصر الزمان موضوعا خصبا للدراسة بتعدد المفاهيم والتصورات ،فهناك من أخده من الجانب الفلسفي وآخر درسه من الجانب الفزيائي ،و بعضهم من الجانب الاجتماعي .

ونحاول في هذا البحث أن نحدد المفاهيم المتعددة للزمن باختلاف دلالاتها.

1.مفهوم الزمان

1.1مفهوم المعنى الزماني

الزمان في اللغة له أصل معنوي واحد هو الدلالة على وقت من الأوقات، والزمان هو الحين قليلهُ أو كثيرهُ، والزمن رديف الزمان(فارس، صفحة 22)، فكلاهما يناوب في الاستعمال الحين معرفا ومنكرًا(الكوفي، صفحة 33). وكلاهما اسم لقليل الوقت وكثيره(المنظور، صفحة 199). ويشرح القدماء- الزمن- كفكرة ومفهوم- بأنه عبارة عن امتداد موهوم غير قار الذات متصل الأجزاء، يعني أي جزء يفرض في ذلك الامتداد لا يكون نهاية لطرف أو بداية لطرف آخر أو نهاية لهُمَا على اختلاف الاعتبارات، كالنقطة المفروضة في الخط المتصل، فيكون كل آن مفروض في الامتداد الزماني نهاية وبداية لكل من الطرفين قائما بهما(الكوفي، صفحة 33)والزمان مقدار حركة الفلك، فهو عبارة عن متجدد معلوم يُقَدَّرُ به كتجدد آخر مَوهُوم، مثلما يُقال (آتيك عند طلوع الشمس) فإن طلوع الشمس معلوم ومجيئه موهوم. فَإذَا قُرن ذلك الموهوم بذلك المعلوم زال الإيهام(الحرجان، 1988) وفكرة الزمان من الأفكار الهامة التي تهتم بها اللغة، واللّغات تختلف فيما بينها في كيفية التعبير عن المعنى الزمني(مذكور، 1986).

وحتى لا ندخل في متاهات التفريقبين الزمان الفلسفي والفلكي والزمن اللّغوي، بل يكفي أن نشير إلى البحث المشترك بين طبيعتي الزمن اللّغوي والزمن الفلكي وهي أنهما ينتهيان إلى طبيعة واحدة من حيث أنهما ينطويان على أبعاد مكانية، فكما أن للزمن الفلكي أبعادًا وكما أنه يقاس بالآلات معينة، فكذلك الزمن اللّغوي له أبعاد من قرب وبعد واستمرار وانقطاع...إلخ. ولهُ آلات قياسية خاصة به وهي الصيغ والتركيبات، وأن إطار الأبعاد الذي ينتظم الزمنين اللّغوي والفلكي يتمثل في الأقسام الزمنية التي

يشتركان فيها وهي: (الماضي الحاضر والمستقبل).واللغة تتعامل مع الزمن على أساس أنه قيمة محسوسة مقطعة إلى خانات ذو طبيعة توقيتية، له مفهومه ووسائله(المطلبي، صفحة 13/12).

ويفرق بعض الباحثين بين الزمن الفلكي والزمن اللّغوي بأن الأول هو الذي يعد قياسا لكمية رياضية، ويعبر عنه بالتقويم والأخبار عن الساعة، والثاني هو الوقت النحوي الذي يعبر عنه بالفعل وصيغه وما شابهه تعبيراً لا يستند إلى دلالات زمانية فلسفية بل يقوم على استخدام القيم الخلافية فيه بين الصيغ المختلفة في الدلالة على الحقائق اللغوية.

2.1– الزمان لغة:

الزمان عدّة دلالات ترتبط بمفاهيم فلسفية وأخرى لغوية ولذلك لا بد أن يفرج على هذه المفاهيم حتى نحدد معناها ورد في لسان العرب أن الزمن والزمان: اسم لقليل الوقت وكثيره والزمن والزمان العصر، وأزمن الشيء: طال عليه الزمان، والزمان زمان الرّطب والفاكهة، وزمان الحرّ والبرد ويكون الزمان شهرين إلى ستة أشهر، والزمن يقع على الفصل من فصول السنة وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبه(المنظور، صفحة 199).

الوقت مقدار من الزمان، وكل شيء قدّرت لهُ حينا، فهو وقت وكذلك ما قدر غايته، فهو مؤقت، ويذكر عن ابن سيدة الوقت مقدار من الدهر معروف وأكثر ما يستعمل في الماضي وقد استعمل الوقت في المستقبل، استعمل سيبويه لفظ الوقت في المكان تشبيها بالوقت في الزمان لأنه مقدار مثله فقال فيتعدّى إلى ما كان وقتا في المكان، كميل وفرسخ والجمع أوقات وهو الميقات.

ووقت موقوت مؤقت: محدود، وفي التنزيل العزيز "أن الصلاة كانت على المؤمنينَ كتاباً موقُوتًا"(النساء ،103). أي مؤقت مقدّارًا، أي كتبت عليكم في أوقات مؤقتة.

والميقات الوقت المضروب للفعل والموضع يقَال هذا ميقات أهل الشام، للموضع الذي يحرمون منه(المنظور، صفحة 107) الدهر– هو الأمد الممدود، وقيل الدهر ألف سنة، أما عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال "لا يسبوا أحدكم الدّهرَ فإن الله هو الدهرُ"(هريرة) بمعنى أن ما أصَابك من الدهر فالله فاعله ليس الدهرَ فإذَا شَتمت به الدهر، فكأنكَ أردت به الله. لأنهم كانوا يضيفون النوازل إلى الدهر، لأن العَرب كان شأنهم أن يذموا ويسَبّوا الدّهر عند الحوادث والنوازل التي تصيبهم من موت أو هرم، فيقولون أصابتهم قوارع الدّهر وحوادثه وأبادهم الدهر، فيجعلون الدهر سبب في ذلك فيذمُّونَهُ والدهر الزمانُ الطويل ومدة الحياة الدنيا(المنظور، صفحة 292)الحين– المدة وهو وقت من الزمان. يضيف ابن منظور

قائلا وجميع من شاهدته يذهب إلى أن الحين اسم كالوقت يصلح لجميع الأزمان(المنظور، صفحة 134/133).

أمّا لفظ الآن فيقع على كل وقت حاضر لا يخص بعض ذلك دون بعض(المنظور، صفحة 133).

2. الزمان والقرآن الكريم والحديث:

2-1- الزمان في القرآن:

تعرّض القرآن إلى مفهوم الزمان، ولكنه لم يستعمل كلمة زمان نَصّا بل نجد ما يَدل على الوقت، اليوم الساعة، الحين السنة وغيرها. من الكلمات فقد نجد الحين للدلالة على يوم القيامة كَمَا في الآيتين.

"فأزَلَّهما الشيطان عنها فأخرجَهُما مِمَا كانَا فيه وقَلْنَا اهبطوا بعضكم لبعض عدوٌّ ولَكُم في الأرض مستقرٌّ ومَتَاع إلى حين"(سورة البقرة، 36) والحين يريد به القرآن الكريم إلى يوم القيامة يوم الدين أو قيل الموت(الزمخشري، 1977) أمّا في الآية " تؤتي أُكُلَهَا كلَ حين بإذن رَبها"(سورة إبراهيم، 25) تعطي ثمرها كل وقت بإذن اللهفالوقت هو زمن محدود لا يخرج عن الإطار الذي حدد له كما في قوله تعالى "أن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتًا"(سورة النساء،103) وكلمة موقوت. تعني محدودة بأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها(الزمخشري، 1977).

الآن نجده بمعنى الحاضر أي زمن الحديث فانتهاء الحديث يكون الزمن قد مضَى كما في الآية "قالَ إنّه يقول أنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسَقي الحرث مسلمَةٌ لا شيةَ فيها. قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كانوا يفعلون"(سورة البقرة، 71).

وقد وردت عدة آيات تشير إلى وحدات الزمن كاليوم الذي يقصد به أيضا يوم القيامة، والساعة والشهر والفجر والسنة وغير ذلك.

قال الله تعالى"قَالَ أنْظِرْني إلى يومٍ يُبعَثُون"(سورة الأعراف ،14)، وقال أيضًا "أنّ رَبَّكم الله الذي خلَق السَمَاوَات والأرضَ في سِتَة أيَّام ثم استَوَى على العَرشِ يَغْشِي الليل النهارَ يَطلبهُ حثيثًا والشَمس والقَمرَ والنُجُوم مُسَخَّراتٍ بَأمرهِ ألا لَهُ الخَلقُ والأمرُ تبَارَك الله رَبُّ العالمين"(سورة الأعراف ،54)،والأيام هنا هي سِتة أيام الدنيا(حمدون، صفحة 161).

– وأيضا قوله تعالى "إن أنزلَنَاهُ في ليلة القَدْرِ وما أدراكَ ما ليلَة القدرِ ليلة القدر خير من ألفِ شهر تنزَلُ الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم من كل أمْرِ سَلاَمٌ هي حتى مَطْلَع الفجرِ"(سورة قدر). وقوله أيضا "ولكلِ أمَّة أجلٌ فإذَا جاءَ أجلهم لا يسْتَأخِرُون سَاعةَ ولا يستقدِمُون"(سورة الأعراف،34) وقد استعمل القرآن كلمة "ساعة" لأنها أقل الأوقات في استعمال الناس، يقول المستعجل لصاحبه في ساعة، يريد أقصر وقت وأقربه(الزمخشري، 1977، صفحة 77).

هذه بعض الأمثلة، ويبدو أن القرآن قد أشار إلى الزمان الفزيائي الذي تشير إليه الساعات والأيام والسنين...يقول تعالى "إنّ عدَّة الشهُور عند الله إثنَا عَشَر شهرًا في كتَابِ الله يَومَ خَلَقَ السَمَاوَاتِ والأرض منها أَرْبَعَةٌ حرُمٌ ذلكَ الدّين القيِّم"(سورة التوبة، 36).

2–2– الزمان في الحديث:

إذا كانت كلمة زمان غير واردة في القرآن نصًا فإنّها في الحديث قد وردت كثيرا وبالنص، بالإضافة إلى الكلمات الأخرى الدالة عليه كالدهر والساعة واليوم وغيرها. ومن قوله صلى الله عليه وسلم "إذا اقترب الزمانُ لم تكد رؤيا المسلمُ تكذب"(البخاري) وقوله صلى الله عليه وسلم "لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر. ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السعفة" وقد أكّد الحديثان على فعل الاقتراب الذي يشير إلى اقتراب القيامة حسب أكثر المفسّرين(ابراهيم، 1993).ويترتب عن هذا، أن الزمان منتهاه وهو التصور الديني الذي يختلف عن التصوّر الفلسفي بصفة عامة الذي يرى بأن الزمان قديم وأبدي.

3. الزمان في المفهوم الفلسفي

1.3الزمان في المفهوم الفلسفي

لننتعرّض إلى كلّ التيارات والآراء حول ماهية الزمن وطبيعته عبر تاريخ الفلسفة بل نقف عند بعضها حتى نبين التطوّر الفلسفي الذي حدث في مفهوم الزمن.

أوّلاً نعرض رأي الفلاسفة الطبيعيين الذين سبقوا سُقراط مثل "طَاليس"

وأنكسمندريسAnkosmandris– وغيرهم فهم يرونَ أن ماهية الزمان تقوم في الحركة، فتعريف الزمان مرتبط بالحركة فهو مقدار وليس الحركة وهو ليس شيئا سلبيًا بل قوة فاعلة لها تأثير في الأشياء لأن الزمان مصدر الكون والفساد(بَدَوِي، الموسوعة الفلسفية، 1984).

الزمان بين تعدّد المفاهيم وتنوّع الدلالات

أمّا أفلاطون وأرسطو قد فلسفا الزمان أكثر عمقا عن الأوائل وأن لم يخرجا ربط الزمان بالحركة.فأفلاطون رأى أن الزمان محدث لا يكون إلاّ مع الحركة فهو ابتدأ مع العالم عندما خلقَهُ الله ووضع لهُ نظامًا عجيبا مشاهدة الليل والنهار، ودوران الشمس والسنين التي كوّنت العدد وقدّمت لنا مبدأ الزمان وصيّرت دراسة العالم ممكنة، وكون الزمان محدثا فلا بد أن يكُون منتهيًا(العالي، 1993).

ونُسب إلى أفلاطون القول "إن في عالم الأمر جوهرًا أزليا تبدّل ويتغير ويتجدّد وينصرم بحسب النسب والإضافات إلى المتغيرات لا بحسب الحقيقة والذات ومنه الماضي المستقبل والحال، وبه التقدم والتأخر(الكوفي، صفحة 406)وهذا يعني أنّ الزمان هو مقدار للحركة إلاّ أنّه ليس له وضع، إذ لا توجد أجزاؤه معا، وإن كان له اتصال، إذ ماضيه ومُستقبلِه يتحدان بطرف هو الآن، وهوية هذا المقدار الذي للحركة هي أنّه لحركة مستديرة، فإذن الزمان مقدار للحركة المستديرة من جهة المتقدّم والمتأخر والحركة متصلة فالزمان متصل لأنّه يطابق المتصل، فإذن الزمان يتهيأ أن ينقسم بالتوهم وكلّ متصل كذلك، فإذا قسّم ثبتت له في الوهم نهايات(خياط، صفحة 297).

وأمّا أرسطو فمعالجته للزمان تكاد تكون نظرية متكاملة فقد حلل الزمان من الناحية الذاتية والناحية الموضوعية. معارضا أستاذه أفلاطون في حادث الزمان ونهايته ففي رأيه الزمان قديم وخالد، مرتبط أيضا بالحركة ولكنه ليس هو الحركة ذاتها، لأنه توجد أنواع كثيرة للحركة إذ منها التسويع ومنها البطيئ في حين لا يوجد إلاّ زمن واحد مشترك بينهما، فهو راتب منتظم فيه، المتحرك كثيرا في وقت قصير أو المتحرك قليلا في وقت طويل، ولا يكون للزمان وجود بغير وجود النفس الإنسانية، التي تعتبر أساس الشعور بالحركة، فنحن نعِي بمرور الزمان عندما نعِيي الحركة(مطر، 1968).وفي الفكر الوسيط يبرزُ الربط بين الزمان والنفس أكثر وضوحًا وذلك على يد القديس "أوغستين" الذي بحث مشكلة الزمان والعلاقة بينَهُ وبين السرمدية بسبب مسيحيته(بَدَوِي، الموسوعة الفلسفية، 1984) وهو ينطلق من الإجابة عن السؤال: ماذا يَكونُ الزمان؟ بقول "أنَا أعلَمُ ما هو، إذا لمَ يَسْأَلنِي سائلٌ، أمَّا إذا أردتَ شرحهُ لمن يَسألُ وجَدْتَني جاهلاً به")راسيل(1968 ,فهو في غيره إزاء المشكلة الزمانية، إذ يرى أن الماضي ولا المستقبل موجُود بين وجودًا حقيقيا: فالماضي ليس موجودًا الآن، والمستقبل ليس بعد وحتى الحاضر فما هو إلاّ لحظة عابرة ومع ذلك فإن الزمن الماضي والمستقل حقيقيان، فالماضي والمستقبل لا يكونان إلا في الفكر، فالماضي يجب

ربطُه بالذاكرة والمستقبل بالتوقع والذاكرة والتوقع حقيقتان قائمتان في الحاضر(راسيل، 1968، صفحة 81). وعليه جاء التقسيم الشائع للزمان إلى ماضي، حاضر ومستقبل، وهو ضرب من الكلام غير الدقيق ولذلك يرى أن الزمان ذاتي لأنه لا يقوم إلا في الفكر الإنساني الذي يتذكر ويرى ويتوقع(راسيل، 1968، صفحة 82) وما دام أوغستين يعبر عن هذا الفكر، فإن الزمان في المسيحية منقل صاعد ينطلق من ابتداء الخلق إلى نهاية العالم(R-Muchembled، 1978)وهذه النظرة الذاتية للزمان نجدها في العصر الحديث عند كانط. فهو لا يعتبر الزمان تصوُّرًا تجريبا مستمدًا من الخبرة الحسية، بل أنه ليس شيئا آخر غير شكل الحس الباطن أي شكل العيان النفسي لحالتنا الباطنية، فحسب كانط يمكن تصوّر زمان بدون ظواهر لكن من غير الممكن نصوّر ظواهر مجردة عن الزمان(المعطي، 1984، صفحة 269).فهو بهذا الرأي يخالف سابقيه بأن الزمان يصدر عن الحركة، واثبتوا صفته الموضوعية فهو يرى أن الزمان لا يصدر عن الحركة بل هو يجعل الحركة ممكنة (قسوم، 1986، صفحة 2137).

أما عند الوجوديين فيرونه مقولة وجودية ذلك أن الوجودية تقوم على الاهتمام بالوجود المشخص للكائن البشري، وربْطها للكائن بالوجود يهدف إلى جعل الزمان قاعدة أساسية لفهم هذا الكائن، وذلك العكس من الاتجاه القائل بأن الإنسان هو مقياس الزمان (قسوم، 1986، صفحة 203) فهم ربطوا مفهوم الزمان بالوجود البشري ذاته (قسوم، 1986، صفحة 211) فما دام الطابع الإنساني للوجود الإنساني هو "الهم"- فالموجود الإنساني مهموم بتحقيق إمكانياته في الوجود، والإمكانيات منها ما تحقق في الماضي، وهذا هو علة الهم من الماضي، ومنها ما يجري تحقيقه، وهذا هو الهم من الحاضر، وهناك أخيرا الهمّ من المستقبل أي الهمَ بتحقيق الممكنات وهكذا فالهم يتصف بثلاثة أحوال للزمانية هي الماضي والحاضر والمستقبل والزمانية هي الوحدة الأصلية لتركيب الهم، فالحاضر لحظة تكوّن وتتشكل بواسطة الماضي والمستقبل، والزمانية لا تكون، بل تتزمن، أنها تتزمنابتدءاً من المستقبل بوصفه الاتجاه الأساسي للزمان، ذلك أن الإنسان ما هو إلا مشروع قيد الإنجاز والزمانية الأصلية متناهية لأنها تتزمن ابتداء من مستقبل مُتَنَاهٍ، لأنه محكوم عليه بالفناء أو الموت(بَدَوِي، الموسوعة الفلسفية، 1984، صفحة 558).

وهكذا فإن الزمان الوجوديين ليس مقولة عقلية كما هي عند كانط وإنما هو نسيج الوجود النفسي أو الشعوري للشخص وعندئذ يغدو الوجود زماني والزمان وجودي ولا وجود إلاّ مع الزمان وبالزمان، ومن هذه النظرة الوجودية للزمان ظهرت النظرة الحيوية للزمان والتي سمّها الديمومة.

إن الديمومة هي الزمان الحقيقي وهي تراكم ونمو. ودوام واتصال من الحاضر والماضي، أي تقدم الماضي الذي تتزايد أحداثه قليلا إلى أن يتضخم ويكوّن المستقبل، وهذا يعني أن الماضي يبقى، ولا شيء يضيع منه، ونتيجة هذه التراكمية يستحيل أن يكون المستقبل مشابها للماضي، إذ كل حالة تنضاف إلى سابقتها لتعطي شيئا جديدا. يقول برغسون:"إنّه ليس هناك نسيج أكثر مقاومة أو جوهرية من الزمن، وذلك لأن ديمومتنا ليست لحظة تحل مكان لحظة أخرى وإلاّ لما كان هناك سوى الحاضر، ولما كان هناك امتداد للماضي في الحاضر، ولا تطوّر ولا ديمومة محددة بالذات، إن الديمومة هي التقدّم المستمر للماضي الذي ينخُر في المستقبل ويتضخم كلما تقدّم. ولما كان الماضي ينمو دون انقطاع، وعلى نحو غير محدود فإنه يحتفظ ببقائه...أن الماضي بأسره يتبعنا في كل لحظة، فكل ما شعرنا به وفكرنا فيه، وأردناه منذ طفولتنا الأولى ماثل أمامنا وباسط ذراعيه نحو الحاضر الذي سيلحق به"(برغسون، 1984)

فالديمومة لا تقبل الارتداد أو الإعادة، فهي لذلك مما لا يمكن التنبؤ أو التكهن به، فهي تاريخ تتابع وتتداخل حلقاته(برغسون، 1984، صفحة 16) وهكذا يربط برغسون بين الزمان والوجود فما الوجود إلاّ كائن شعوري ينحصر في التغير وأن التغير ينحصر في النضج، والنضج ينحصر في أن يخلق المرء نفسه بنفسه على نحو غير محدود: "لأن خلق الإنسان لنفسه بنفسه يكون أكثر تماما كلما أجاد التفكير فيما يفعل"(برغسون، 1984، صفحة 17)

أما النظرة الماركسية للزمان فهي لا تبعد مفهوم الزمان عن نزعتها المادية الجدلية مخالفة كل الفلسفات التي تردّ الزمان إلى الوعي الإنساني، فهي تعتبر أن الزمان والمكان شكلين رئيسيين لوجود المادة وهما موضوعيان لا توجد أية حقيقة بينهما:"الزمان والمكان لا ينفصلان عن المادة...والزمان يعبر عن تتابع وجود الظواهر حيث تحل الواحد محل الأخرى، والزمان لا يرتد، بمعنى أن كليته لا يتطوّر إلا في اتجاه واحد، من الماضي إلى المستقبل"(بوديس، 1981، صفحة 235) وهكذا فإن الزمان مع الماركسية يصبح تلك الصيرورة في حركة التاريخ.

2.3– الزمان في الفلسفة الإسلامية:

الحديث في الفلسفة الإسلامية تقتضي محاولة التوفيق بين الفلسفة والشريعة ذلك لأن الفلسفة اليونانية دخيلة على الثقافة الإسلامية التي يغير الدين الإسلامي أصلها. وقد تأثر المفكرون المسلمون بهذا

الوافد الدخيل بعد هضمهم له. وفي الآن نفسه عملوا على الخروج عن كثير من الآراء التي تتعارض كما يقرره الشرع، وهذا ما شَكَّل أصالة الفلسفة الإسلامية وبخصوص الزمان فَمعالجته تجر إلى مسائل ميتافيزيقية وإلهية تتعلق بالخلق، والوجود وصفات الله، وبالأزل والأبد. وغيرها من المسائل.فابن سينا تناول مشكلة الزمان من الجانب الميتافيزيقي والطبيعي متأثرا بنظرية أرسطو في كثير من جوانبه، سواء في تعريفه للزمان أو في طبيعته(العراقي، 1969). فهو يربط الزمان بالحركة والمكان(العاني، صفحة 106).

أما عن ابن رشد فهو لا يخرج عن المنهج التوفيقي بين أراء أرسطو خاصة وبين ما جاء به الإسلام، وقد جاء كتابه "فصل المقال" مدافعا ومبررًا لمنهج التوفيق باعتبار أنّ الغاية التي تبغيها الشريعة والحكمة واحدة (قسوم، 1986، صفحة 85).

وتطبيقا لهذا المنهج فيعرّف الزمان بأنه عبارة عن مقدار حركة الفلك من حيث انقسامه إلى متأخر ومتقدم (قسوم، 1986، صفحة 85).وهو بهذا يربط الزمان بالحركة ويجعله مقدار للحركة وليس الحركة نفسها، ومع أن الزمان هو مقدار للحركة ومقياسها فإنه في نفس الوقت يقاس بالحركة، والحركة التي يقاس بها الزمن هي الحركة العامة للكون.

فالزمان عند ابن رشد هو مصدر الكون والفساد، وهو بالتالي قوّة فاعلة وليس شيئا سلبيا وهو بهذا لا يخرج عن النظرة اليونانية للزمان.

3.3 الزمان عند المتكلمين

علم الكلام يشكل مرحلة تمهيدية لنشوء الفلسفة الإسلامية، ولكن رغم ذلك يبقى مختلفا عن الفلسفة من حيث المنهج والنتائج، وأن حدث الالتقاء في بعضها أن علم الكلام ينطلق من التسليم بالعقائد الدينية، ويعمد بعد ذلك إلى الدفاع عنها بالحجج العقلية والأساليب المنطقية، معتمدًا على التأويل ومن ثم كانت نتائجه موافقة للشرع. أمّا الفلسفة فمنطلقها الشك، ومنتهاها اليقين، وأداتها العقل المسلح بالمنطق والمبادئ الفطرية فيه.

والزمان عند المتكلمين عبارة عن آنات منفصلة تتجدّد باستمرار ولا نقبل القسمة، فهي إذن، أجزاء لا تتجزأ، ولكن حقيقة هذه الأنات تبقى غير مضبوطة، بعيدة عن الإدراك، حتى أن منهم من أنكر الزمان جملة فالزمان عند المتكلمين ينقسم إلى ثلاثة تطوّرات.

-1- انفصالية الزمان: فهو مؤلّف من أجزاء وآنات صغيرة منفصلة متعاقبة لا نقبل القسمة، فالآنات تتحدّد باستمرار.

–2– الزمان يرتبط بالمتزمن فيه: بمعنى أن الزمان يرتبط بالحدث بحيث لا يوجد عند المتكلمين انفصال بين الزمان ومحتوياته، فيكوّن الشيء وزمانه وحدة واحدة.

–3– نظر المتكلمون إلى الزمان من حيث وظيفته أي من حيث هو تقدير الحوادث بعضها لبعض دون أن يستقل الزمان عن الحدث.

4.3 الزمان عند الصرفيين:

يشكل التعامل مع الزمان بعدًا أساسيا في الرؤية العرفانية الصوفية ذلك لأنها تميّز بين تجربتين للوجود– التجربة الظاهرة للوجود الظاهر والتجربة الباطنية للوجود الباطن. والوجود الأخير هو الحقيقي وإدراكه لا يعتمد على العقل أو الحواس أو النقل وإنما على الذوق."وهو الكشف المباشر الذي يتم عبر حال تتلبس الصوفي، فتبدّل صفاته، وتقَوده في حركة تتجاوز الشريعة إلى الحقيقة، متجهة نحو الكشف عن الله، جوهر العالم والفناء فيه"(أدونيس، صفحة 92).

فالحقيقة هي غاية الصوفي عبر منهج ذَوقي، يقوم على المعاناة الداخلية والمكابدة النفسية، لا على النظر التأملي أو الجدل، وبفناء الصوفي في الحقيقة الكلية واتحاده بالله، تتغير تبعا لها، صورة العالم وعلاقته ومفهوماته جميعا، ومن المفاهيم الأساسية التي يشملها هذا التغيير مفهومي الزمان والمكان. حيث ينسلخ المكان عن مكانيته والزمان عن زمانيته أن الصوفي جوهر مبثوث في الوجود كلّه بذلك لا تحدُّه الجهات بل الجهات تصدر عنه ولا يحيط به المكان، بل هو يحيط بالمكان...وإذا كان المكان لا يحدّه فكذلك لا يحدّه الزمان، فليس الوقت شيخا له وإنّما هو شيخ الوقت(أدونيس، صفحة 97) إنّ الزمان لا يعدو عند الصوفي إطاراً للحوادث ولا ديمومة للحالات الشعورية، لا تقبل الارتداد أو الانفصال، والقفز إلى الأمام، بل يمكن للعارف أن يسافر فيه وفي أي اتجاه نساء إلى الأمام أو الوراء كما يمكنه أن يحضر أو يغيب فهو يختلف عن الزمان المادي الذي يقاس أن الفناء في الحقيقة الكلية هو دخول إلى الأبدية، وخروج عن التغير يقول القشيري "من استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عينًا ولا أثرًا ولا رسْمًا ولا طللا فقد فنى عن الخلق وبقي بالحق ففناء العبد عن أفعاله الذميمة وأحواله الخسيسة بعدم هذه الأفعال وفناؤه عن نفسه وعن الخلق بزوال إحساسه بنفسه وبهم، فإذا فنى عن الأفعال والأخلاق والأحوال، فلا يجوز أن يكون ما فنى عنه من ذلك موجودًا"(القشير، صفحة 68) فالوقت هو اللفظ

الشائع عند الصوفيين يقول القشيري "الوقت ما أنت فيه، إن كنت بالدنيا فوقتك الدنيا، وإن كنت بالعقبى فوقتك العقبي وإن كنت بالسرور فوقتك السرور، وإن كنت بالحزن فوقتك الحزن...إن الوقت ما كان هو الغالب على الإنسان"(القشير، صفحة 55).

4 أنواع الزمان

إن تقسيم الزمان إلى أنواع مختلفة لا يعني تجزئة الزمان، بل هو يتعلق بمنظورات مختلفة من زوايا متباينة لحقيقة الزمان، تم أن اختلاف مفاهيم الزمان دليل على أهميته كمقولة عقلية ووجودية وهذه الّأهمية تطوّرت بتطور الفكر البشري العلمي والفلسفي على حدّ السواء. وهذا التمييز بين أنواع الزمان تفرضه علينا حقيقة البحث لأن ثقافتنا الشعبية على المستوى المقول أو السلوك، تقدم تصوّر عن الزمان لا يمكن الكشف عن دلالته ووظيفته إلا عبر هذا التقسيم.

1.4الزمان الأسطوري:

بدأنا بالزمان الأسطوري كون الأسطورة هي أولى أشكال الوعي الإنساني لجأ إليها في عضلة من العقل والعلم، فلقد كان لزامًا على الإنسان القديم أن يخترع الأساطير "لأن ما حوله من مدهشات الكون وأعاجيبه التي لم يستطع إدراكها إدراكا علميا حمله أن بتوهم لها تفسيرا ويتخيل أصولا ووقائع يرتاح إليها وتزيل جبرة نفسه وتبعث فيه نوعا من السلوى والعزاء والأمان في دوّامة قلقه الوجودي"(شعبان، 1994) وإدراك الزمان معلَقا بالأسطورة جعل الإنسان يبقى في إطار العالم المحسوس المرئي، كما ارتبط مفهومه للزمن بالنزعة الإحيائية Animisme التي تنسب للأشياء والظواهر الطبيعية قوة سحرية وتحول الطبيعة إلى عالم مفعم بالأرواح. وكما كانت الأسطورة ترتبط بالدين ارتباطًا وطيدًا فإن وظيفتها الأجلّ هي تقديس حقائق الدّين ومعتقداته، يقول ميرسيا الياد"أن الأسطورة تقوم في المجتمعات البدائية بوظائف لا غنى عنها، فهي تعبر عن المعتقد وتعظمه وتَقننُه، وهي تحافظ على الأخلاق وتلزم بها، وفي تشهد على فعالية الطقس وتقدم قواعد عملية لإرشاد الإنسان"(ميرساإلياد، صفحة 51)وبذلك كان الزمان الأسطوري زمانا مقَدّسا فهذا الزمان يتميز عن الزمن الدنيوي بقابليته للاسترجاع أو التحسين في الحاضر يقول فيه. الياد "إنه قابل للاستعادة والتكرار بلا حدود،....لا يتغير ولا ينفذ"(الياد، صفحة 68)

والزمن المقدس لا يدرك إلاّ كمقابل للزمن الدنيوي، ذلك أن الزمان المقدَس يشكل فترات وأجزاء خاصة عن الزمن الدنيوي، لها دلالاتها وإيحاءاتها، وهو يقسم ويستثمر بأشكال مختلفة من ثقافة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر.

2.4الزمان الديني

جاءت الأديان السماوية بمفهوم جديد للزمان، فقالت بزمان خالد وأوسع وأرحب، يختلف عن الزمان الدنيوي المتعلق بالحياة في الأرض، كما ربطت بين مفهوم الزمان والمصير والعناية الإلهية، إذ لم يعد العالم بما فيه الإنسان، ذلك الوجود الذي يخضع لأسباب وقوانين ضرورية تتكرّر باستمرار دون نهاية، بل إن كل ما يحدث في العالم يخضع لتدخل الإرادة الإلهية. فالمسيحية أعطت للزمن مفهَما نهائيا يبدأ بالخلق وينتهي بنهاية العالم، فإن الزمان أو التاريخ ينقسم إلى زمان ينطوي على ماضي بدأ من خلق آدم حتى هبوطه على الأرض، وزمن ينطوي على فترة ممتدة من الهبوط إلى فداء المسيح، ومستقبل يبدأ عن الفداء أو الصّلب حتى نهاية التاريخ(محمد، 1984).أمّا الإسلام، فإن تصوّره للزمان ينبني على التمييز بين عالمين: عالم الدنيا الفانية وعالم الآخرة الخالدة. وزمان العام الأول محدود ونهائي منتهي، أما زمان العالم الثاني فهو خالد غير منتهي.

3.4الزمان الفيزيائي

إنّ مراقبة الإنسان لحركة الشمس في مختلف بقاع العالم مكّنَهُ من تسجيل وبدقة المعطيات الملاحظة المتعلقة بحركات الشمس على الأفق، فتم حساب الأيام والشهور والأعوام وهذا هو الزمان الذي نسميه بالزمن الفيزيائي، والطبيعي أو المادي الذي لا ينفصل عن حركة الشمس والقمر، وهو الذي نقسمه إلى دقائق وساعات وأيام وأسابيع وأعوام وقرون. وأيضا إلى آنات هي الماضي والحاضر والمستقبل.

4.4 الزمان البيولوجي

هذا المفهوم يرتبط بالكائن الحي، ويقصد به تعاقب الفترات والإيقاعات التي تمر بها حياة الكائن الحي، وهذا الزمان ناشئ عن تلك العلاقة المتداخلة بين الكائنات الحية وإيقاعات البيئة من تعاقب الليل والنهار، الناتج عن دوران كوكب الأرض حول الشمس، وكذلك ظاهرة المد والجزر. إن هذا الزمان يشتمل جميع التغيرات العضوية التي يتعرّض لها الإنسان منذ أن يكون نطفة حتى الموت(كارل، 1998).
وهذا الزمن البيولوجي أو الفيزيولوجي يشار إليه عادة بالزمن المادي.

5.4الزمان الاجتماعي

لا يمكن تصوّر الزمان إلا إذا أخضعنا للبحث الوصفي المستند على القياس، ولن ندرك ماهية الزمان إلا بقياس لحظاته وتقسيم آناته والتعبير عنها بنسب وعلامات موضوعية، تتمثل في الواقع والأحداث التي هي تتابع السنين والشهر، واستمرار متتالي للأيام والأسابيع(إسماعيل، صفحة 39) فالزمان له وجود موضوعي، ولذلك يمكن تقسيمه إلى أجزاء متتالية وانسيابها في تتابع مستمر، من ثم فالزمان ليس مجرّد تتابع يسبح في فراغ، كما أنه صورة فارغة جوْفا.ولعلّفكرة الزمان لا تتبع من التجربة الشعورية للفرد، بل تتبع من التجربة الحية القائمة في الحياة الاجتماعية ونحن نلتمس ذلك في التقاويم الزمنية التي تعبر بوضوح عن إيقاع الحياة الاجتماعية وما يصاحبها من مظاهر النشاط الجمعي(إسماعيل، صفحة 42).

6.4 الزمن الفردي

الزمن الفردي ذاتي، نفسي، أو أن الحديث عن هذا الزمن يحيلنا مباشرة إلى تجربة الزمن، أي إلى الكيفية التي يدرك أو يتصوّر بها الأفراد للزمان ويعيشون جزئياته، حسب الظروف والأحوال النفسية والوضعيات والاهتمامات الآنية أو المستقبلية المختلف من فرد إلى آخر، ولدى الفرد الواحد، أن الزمن الفردي هو بكل بساطة التجربة الذاتية للزمن(Hall، صفحة 31) وكل إنسان يشعر بتباطؤ الزمن أو بتسارع جزئياته حتى كان الزمن يفلت من بين يديه.

5. الخاتمة:

هكذا نكون قد شرحنا مفاهيم الزمان وحددنا دلالتها بحسب التصورات والمعتقدات الفكرية.

6. قائمة المراجع:

- ابن المنظور ،لسان العرب ،دار صادر ،بيروت ،لبنان، ط3 ،1993.
- ابراهيم العالي- الزمان في الفكر الإسلامي دار المنتخب العربي ط1 1993.
- أبو البقاء بن موسى الكوفي، تحقيق :عدنان درويش ومحمد المصري ،وزارة الثقافة السورية،دمشق ،ط 2.
- أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان- دار النهضة العربية القاهرة ط2- 1968.
- أدونيس الثابت والمتحول تأصيل الصول- دار العود- بيروت ط4، د- ت.
- الكسيس كارل- الإنسان ذلك المجهول ترجمة شفيق أسعد فريد مكتبته المعارف بيروت 1998
- أبو الحسن أحمد بن فارس،مقاييس اللغة ،تحقيق عبد السلام ، هارون ،دار الكتب العلمية،د.ت،ج
- برتراند راسيل تاريخ الفلسفة العربية الكتاب الثاني- ترجمة الدكتور زكري نجيب محمود مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط21 1968.

- تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، حسان الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ط2 1979.
- الزمخشري: الكشاف دار الذكر للطباعة والنشر والتوزيع ط1 1977. ج1.
- علي بن محمد الجرجان ،التعريفات، دار الكتب العلمية ،بيروت،ط3، 1988.
- عاطف مذكور ،علم اللغة بين القديم والحديث، دار الثقافة ،القاهرة ، 1986.
- عبد الرحمن بَدَوِي الموسوعة الفلسفية المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت ط1، 1984.
- علي عبد المعطي محمد تيارا على فلسفية معاصرة- دار المعرفة الجامعية 1984.
- عبد الرزاق قسوم، مفهوم الزمن في فلسفة ابن الوليد، ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1986.
- قباري محمد إسماعيل علم الاجتماع والفلسفة ج2 دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ط1.
- القشير،رسالة القشيرية دار الجيل بيروت ط2- د ت.
- غسان حمدون- تفسير من سمات القرآن- المؤسسة الوطنية للكتاب ودار سحنون للنشر والتوزيع تونس
- مالك يوسف المطلبي ، الزمن واللغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة.
- محمد عاطف العراقي- الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا دار المعارف بمصر 1969.
- محمد شعبان ، في ميتولوجيا شعوب الشرق القصى مجلة الفكر العربي العدد 73- 1994- معهد الإنماء العربي بيروت لبنان والهيئة القومية للبحث العلمي طرابلس- ليبيا.
- م روزنتال وب بوديس الموسوعة الفلسفية ترجمة سمير كرم دار الطليعة- بيروت ط3 1981.
- ميرسإلياد- مقال بعنوان السطورة في القرنيس 19 و 20 ترجمة عدنان فرحة مجلة الفكر العربي.
- ميرسيا الياد المقدّس والدنيوي، ترجمة نِهاد خياطه، العربي للطباعة للنشر والتوزيع دمشق ط1.
- هنري برغسون: التطوّر الخالق ترجمة الدكتور محمد محمود قاسم الهيئة المصرية العامة للكتاب 1984.
- يوسف خياط، معجم المصطلحات العلمية والفنية، دار الجيل، ودار لسان العرب، بيروت.